

القصة القصيرة في الأدب العربي (العراق نموذجاً)

The Short Story in Iraq

Dr. Samiullah Zubairi

Assistant Professor, Deptment of Arabic

Allama Iqbal Open University, Islamabad

Sami.zubairi@aiou.edu.pk

Mr. Shakeel Ahmed

Lecturer, Deptment of Arabic

Allama Iqbal Open University, Islamabad

ABSTRACT

The short story is a literary art that emerged in the West in the nineteenth century. It has deep roots. It is true that it is influenced by Western literature. According to Muhammad Yusuf Najm, It is not strange or emergency to our Arabic literature, nor is it recent in origin and birth, presented with winds The change coming from the West, but it is deeply rooted and has many branches in our Arab culture. This article presents the origin and concept of short story in Iraq. The descriptive and analytical method is applied in this article.

Keywords: short stories, Western Literature, Origin.

القصة القصيرة فن ادبي برز عند الغرب في القرن التاسع عشر⁽¹⁾ لها جذور ضاربة في القدم، صحيح انها متأثرة بالادب الغربي إلا انها كما يرى محمد يوسف نجم : (ليست بغريبة أو طارئة على ادبنا العربي كما انها ليست حديثة النشأة والميلاد ، قدمت مع رياح التغير القادمة من الغرب وانما هي عميقة الجذور كثيرة الفروع في ثقافتنا العربية ابتدأت ملتبسة بالشعر في عصر ما قبل الاسلام نضجت على يديّ الجاحظ في اقصايه وعند بديع الزمان الهمذاني في مقاماته كما تجلت في الف ليلة وليلة)⁽²⁾ احد المنظرين للقصة القصيرة (ادجار الان بو) عرفها بانها (قصة نثرية تقرأ فيما بين نصف ساعة وساعتين)⁽³⁾ بعده تنوعت تعاريفها فمنهم من عرفها بحسب الطول والقصر منهم اندرسون امبرت^(*) عرفها على انها (حكاية قصيرة ما امكن حتى يمكن أن تقرأ في جلسة واحدة)⁽⁴⁾ .

وعلى الرغم من أن معيار الطول والقصر لا يخلو من اهمية كما يقول يوسف الشاروني : (اننا نقول قصة قصيرة أي أن القصر احد طرفيها في الحد)⁽⁵⁾ إلا انه لا يمثل المعيار الكافي لتمييز القصة القصيرة والسيطرة على كتبها لانه كما يرى فرانك اوكونور : (أي مقياس للطول في القصة القصيرة الا ذلك المقياس الذي تحتمه المادة نفسها ومما يفسدها لا محالة أن تحشى حشوا لتصل إلى طول معين أو تبتز بتراً لتنقص إلى طول معين)⁽⁶⁾ فبسبب (محدودية طولها تطلبت مراساً اشد بالتكنيك الادبي يفوق طاقة الفنان الطبيعي ورغبته)⁽⁷⁾ وهي (فن اللحظة واللحمة)⁽⁸⁾ فهي حكاية مشحونة تتولد فجاءة في زمن محدد بالافكار المكثفة والمشوقة يعرضها الكاتب

وفق رؤيته الخاصة⁽⁹⁾ إذ ينظر (للحدث من زاوية معينة لا من عدة زوايا)⁽¹⁰⁾ تبدأ بازمة وتظل تحيط باللحظة التي ولدتها⁽¹¹⁾ في هذه اللحظة تضع عناصر الحدث في نقطة واحدة تشع لمعاناً لتكون لحظات القصة⁽¹²⁾ تؤدي هدفاً وانفعالاً ويبقى ابداع الكاتب وبراعته في صياغة هذا الفن ، اما قيمتها وما حققته في الواقع العراقي وما صاحبه من تغييرات ، فقد نشأت في العراق في مرحلة حديثة العهد (بتأثير التيارات الفكرية والثقافية التي بدأت تطرق ابواب المجتمع العراقي منذ نهاية القرن التاسع عشر)⁽¹³⁾ إذ اصبحت القصة القصيرة تمثل حضوراً فنياً ابدع القصاصون العراقيون فيها متأثرين بالقصة القصيرة في الغرب كما تأثر بها كتاب الوطن العربي كذلك بافكار كتابها⁽¹⁴⁾ فهي مستمرة منذ ثمانين عاماً تقريباً استطاعت أن توفر لنفسها مجالاً في كونها نمطاً محبباً لدى البعض من المثقفين قدموا بواسطتها نظرة معينة للحياة ، احيانا بشكل هوية أو دين أو طريقة اختطه لنفسه أو مثلاً لتقليد الآخرين إذ ان (القصة عندهم اصبحت موقفاً متشعباً فاستحقوا أن يقال عنهم انهم كتاب قصة)⁽¹⁵⁾ وهكذا استخدم القاص قصصه بوصفها وسيلة في نقد الواقع الاجتماعي فاصبحت اداة فعالة يمكن أن يستخدمها الكاتب في البناء الاجتماعي⁽¹⁶⁾ (فهي حقيقة ، لا يمكن التغاضي عنها بل ثمة امكانية لدراستها وتأملها كمعطى تاريخي وفني)⁽¹⁷⁾ لما لها من اهمية في ادبنا العراقي المعاصر فكانت علامة بارزة في خضم احداث كثيرة قدمها القاص على الورق ، سوف نتعرف عليها من خلال احد كتابها المبدعين (احمد خلف) الذي كان له بصمة وعلامة في طريق تطوير القصة القصيرة في العراق مع جيله جيل الستينيات الذي شكل تياراً قصصياً بارزاً ومميزاً وممهداً

لظهور جيل ادبي طبع بصماته على واقع الابداع القصصي العراقي بما قدمه من تميز في الرؤى وتفرد في اللغة وتجاوز للموروث ، كان مع مجاليه بداههم ووعيمهم قد ارسوا تياراً حمل هموم مجتمعيهم وجيلهم كان التجريب سمة هذا الجيل بحثاً عن كل جديد ، (فالتجريب) يتباين مفهومه بين المهتمين ، فمنهم من يراه على انه (كل ما يطرح بصفة جديدة حتى لو كانت مؤقتة)⁽¹⁸⁾ وهو (تأسيس وتاصيل لاسلوب جديد يمارسه القاص من اجل الوصول إلى الحقيقة عن طريق معارضة الواقع في الخيال احياناً)⁽¹⁹⁾ والتجريب (محاولة تقديم موضوعات وطرق معالجة جديدة)⁽²⁰⁾ وهو (مذهب في تقييم المعرفة على ما تدركه الحواس وحدها وينكر وجودها مبادئ فطرية في النفس وقوانين صادرة عن العقل)⁽²¹⁾ .

وهو في القصة التجديد في القوالب والتعبير والرؤيا والاسلوب الجديد المتميز بطرائق معالجة حديثة بصيغة تتجاوز التعامل مع المألوف برفضه كل التجارب الفنية القصصية السائدة بوصفها تقليدية لا تفي القاص الجديد في الافصاح عما يريد قوله⁽²²⁾ أن القصة في العراق بدأت تاريخاً على يد محمود احمد السيد في العشرينيات وما تبع ذلك من اعمال لسليمان فيضي وانور شاؤول وغيرهما وهؤلاء وقع نتائجهم تحت تاثير القصة الاوربية التي عرفوها واطلعوا عليها عن طريق الترجمة إلا أن هؤلاء الرواد لم يكن لهم حظ في التجريب بل كانوا عناصر اكتشاف وتأسيس⁽²³⁾ في حين شهد العقد الخمسيني مرحلة ازدهار للقصة العراقية وسببه (تعرف القاص على الاساليب الاوربية الحديثة في كتابة القصة)⁽²⁴⁾ لم يستمر

التجريب الخمسيني بشكل مؤثر وانما اقتصر على بضعة نماذج لعبد الملك نوري وفؤد التكرلي⁽²⁵⁾ بتوغل الاعوام في العقد الستيني توغل قصاصوه في التجريب من دون محاولة لمراجعة موقفهم ونتائجهم فظهرت تاثيرات القصة الاوربية الحديثة في عموم نتاجهم وما كان توجهم نحو الرؤية الرمزية والعبثية والفردية الإ طريقاً طبيعياً للحلم والقنوط ، وكانت لنكسة حزيران والاحداث التي واكبتها في توجيه الكتاب (إذ توزع القاص بين ما تطرحه القصة الاوربية وبين ما يجري في الساحة الثقافية والسياسة في وطنه وبين رغبته الاصلية في ترجمة ما يعانيه كل حسب فهمه واستيعابه ذاتياً كمبدع وكنسان عربي أو عراقي تحديداً)⁽²⁶⁾ .

فهذا الوضع جعله يبحث عن رؤى واشكال وادوات جديدة تعبر عن ازمة المجتمع انذاك تسهم في إرساء تجارب جديدة في القصة القصيرة بشكل خاص⁽²⁷⁾ (التجريب لم يكن ابتكاراً عراقياً محضاً بقدر ما كان ضرورة تطلبها تلك المرحلة وحاجة فنية شاملة فرضت نفسها بحكم الظروف السياسية والاقتصادية التي برزت في الستينات)⁽²⁸⁾ ، وعى القاص التغير وبدأ كتابة تجارب قصصية كانت بفعل النتائج التي ترتبت بعد (1967) فكانت التجريبية لديهم تهتم بالتعامل مع الحدث الاجتماعي واستثماره ولصالح القصة التي كانت تضرب على وتر الخيبة والفشل في النكسة واستطاعت كسر الاطار القصصي التقليدي وبدأت الرؤيا تتوضح ، فالبدائيات الأولى للستينيات تعد ارضية أو المادة الخام بكل ما تحمل مكنت القاص من امتلاك ادوات فنية واسلوب ووعي متطور في القصة القصيرة .

ما بعد الستينيات وفي العقود اللاحقة ظل التجريب سمة بارزة من سمات القصة العراقية وما حدث من اوضاع فالحرب العراقية (1980) كان لها تأثير كبير على قطاعات المجتمع وطبقاته والقاص يشكل طليعة واعية فيه وما وقع بعدها على العراق من اعتداءات وحصار نراها الان نحن في هذا العقد قريبة من قصص الستينيات في معاناة الشخص وحصارهم مع اختلاف في الرؤية أي نضوج في الرؤية الفنية للتعبير بكافة الوسائل .

وابرز ما حاول التجريبيون توظيفه في القصة التجريبية في الستينيات وما تلاها ومنهم كاتبنا (تعزيز دور الخيال القصصي الذي يفضي إلى الكثير من المنافذ والرؤى التي تحتتمها طبيعة الخيال الذي يخترق صلابة الواقع بمقدرة السارد على تصور عوالم عديدة ذات سمة غرائبية اعطت للنص القصصي نكهة لم يعرفها من قبل)⁽²⁹⁾ .

فالخيال يجعل الخروج عن المألوف والسائد ممكناً مما يحقق جمالية تعكس رؤيا الكاتب وهذا الخيال يتحقق في كافة عناصر القصة وذلك من خلال التخلي عن السرد ، والابتعاد عن الشكل التقليدي السائد في القصة ، والولوج في العالم الداخلي للبطل باستخدام التقطيع وتيار الوعي ولغة شعرية يتحقق فيها الرمز والإيحاء (من خلال خلق مسارات حكاية جديدة تعرض سطح الحكاية إلى هزة عنيفة وتفتت وحدتي الزمان والمكان بالاشتغال على اشكال الزمان من استرجاعات واستذكارات واستباقات زمنية)⁽³⁰⁾ دفعت الظروف بالقاص إلى الاستجابة لمؤثرات

فكرية وفنية معينة إلى استخدام الفنتازيا^(*) والحلم والواقعي وكل ما يتضمنه الغرائبي والوهمي والمونولوج الداخلي ، كان الفرق بين الراوي والمؤلف غالباً ما يضمحل فكان الكثير من أبطال الستينيات هم اسقاط الشخصية المؤلف نفسها ووقعهم تحت تأثير المدرسة النفسانية بمثلها جويس وفوكز⁽³¹⁾ أوجد التجريب في القصة القصيرة تائراً بالفنون الحديثة كالسينما والمسرح والشعر الحديث والسيناريو بحيث تندمج عناصر فنية كثيرة من هذه الفنون في عملية إعادة الشكل القصصي وهذا يساعد على التحرر من الخضوع لقلب قصة معين يقيد حركة القاص فضلاً عن الجمالية المبتغاة من ذلك⁽³²⁾ يقول احمد خلف : (أن النص المختلط أو المفتوح على عدد من الاجناس الادبية الاخرى مارسه كتاب اوربيون ابرزهم رولان بارت في محاولة منه للتأكيد على احقية الناقد في انتاج نصه الخاص فادخل السيرة الذاتية مع الشعر والحكاية والسيناريو والنقد الادبي وترك الباب مفتوحاً للآخرين اقل منه شأنأً ليجدوا بهم ذريعة مناسبة للاستمرار بهذا النوع من الكتابة⁽³³⁾ ومن مناحي التجريب الاخرى الاستفادة من المرجعيات المختلفة للموروث بكل ما فيه من اسطورة وحكاية واحداث تاريخ والدين (فبنية الموروث ذات حركة وحيوية وصراع ، والعودة إلى الموروث ليس بمثابة تقهقر إلى الوراء والانتكاء على الماضي بقصد التخلص من الحاضر بل أن مرد ذلك متأت من قوة العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر وقوة الماضي الكامن في مدونات وأخباره وسيرته وسير الشخصيات ودورهم كعلامات تاريخية ثم خصائص كل منها يقابلها حركة الحاضر ، فالرحلة إلى الماضي هذه تأتي مبررة كونها تتخذ الموروث كمصدر حضاري يحمي

الذات والواقع من خطر المداهمة والتشويه⁽³⁴⁾ فالليالي مثلاً وما فيها من ابداع وقوة في التعبير ورؤية ودوافع كانت تنم عن قائلها وعصرها اوجت واعطت للعديد من القاصيين الكثير منهم (استلهموا روح الليالي العربية وخيال شهرزاد وفطنتها وذكاءها وما صاغه مؤلف الليالي من صورة شعرية ونثرية جسدت الحياة اليومية وتفكير العصر وعقلية الناس بشكل نادر فريد)⁽³⁵⁾ يعبر من خلالها عن اشياء وامور تعجز الشخصية الحديثة أن تعبر عنها ومثلها والاسطورة الحكاية الشعبية والتراث والدين و التاريخ وهذا كله يدخل ضمن تجريب واع ينم عن مقدرة وتواصل لأن التجريب لا يمكن حصره في معين فهو ممتد إذا ما احسن الكاتب أن يستوعب حجم ما يريد أن يقوله ، وهذا كاتبنا واحد من هؤلاء الذين ظهروا في هذا الجيل وواكب التجريب بما فيه من تغيرات ومواضيع .

الهوامش

-
- (1) القصة القصيرة ، دراسات ومختارات : د. الطاهر مكي ، القاهرة ، 1978 : 7 .
- (2) فن القصة : احمد أبو سعد ، منشورات دار الشرق الجديد ، بيروت ، 1959 : 38-43 .
- (3) القصة القصيرة في مصر : شكري عياد ، معهد البحوث للدراسات العربية ، القاهرة ، 1967 : 21 .
- (4) ناقد ارجنتيني ، ينظر القصة القصيرة ، دراسات ومختارات : 73 .
- (5) م.ن : 73 .
- (6) القصة القصيرة نظرياً وتطبيقياً : كتاب الهلال ، 1977 : 60-61 .
- (7) الصوت المنفرد ، مقالات في القصة القصيرة ، فرانك اوكونور ، ترجمة محمود الربيعي ، الهيئة : المصرية للتأليف ، 1969 : 21 .
- (8) القصة القصيرة ، راي ب وست ، ترجمة سمير عزام ، دار صادر ، بيروت ، 1961 : 31 .
- (9) في النقد القصصي ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 : 35 وينظر في زمن الرواية ، جابر عصفور ، دار المدى للثقافة والنشر ، سوريا 1999 : 35 .

- (9) وجود النص – نص الوجود: مصطفى الكيلاني، الدار التونسية للنشر 1992: 137 وينظر كتابة القصة القصيرة، فرانك أوكونور، ترجمة عقيل كاظم، مجلة الثقافة الأجنبية العدد (3) لسنة 2000: 10.
- (10) الفن القصصي (طبيعة، عناصره، مصادره) د.علي عبد الخالق، دار الشؤون الثقافية قطري بن الفجاءة، قطر، 1987: 33.
- (11) السرد في قصص جليل القيسي القصيرة، جاسم حميد عودة، رسالة ماجستير، كلية التربية، الموصل 1999: 16.
- (12) مقدمة في القصة القصيرة، وليفر ستون، ترجمة رايض عبد الواحد، مجلة الثقافة الأجنبية العدد 3، 2000: 6.
- (13) قراءات في الادب والنقد: شجاع العاني، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999: 144 وينظر شخصية البطل في القصة العراقية القصيرة شجاع العاني، مجلة الاقلام، العدد 11 السنة 1988: 247.
- (14) رصد الظواهر الاجتماعية في القصة العراقية القصيرة، عبد العزيز ابراهيم، مجلة الاقلام العدد 6 السنة 2001: 22.
- (15) القاص والواقع، ياسين النضير، منشورات وزارة الاعلام، العراق 1975: 14.
- (16) القصة القصيرة في الخليج العربي، ابراهيم زغلول، مطبعة الارشاد، بغداد 1981: 125 وينظر القصة القصيرة في العراق، دراسة فنية، فاطمة عيسى، رسالة ماجستير جامعة الموصل كلية الاداب 1984: 14.
- (17) على ضفاف المشهد القصصي العراقي، احمد خلف، مجلة الطليعة الادبية العدد 2 لسنة 1999: 83.
- (18) التجريب في القصة والرواية، سليمان البكري، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2000: 11.
- (19) معجم المصطلحات: سمير عبد الرحيم الجلي، دار الشؤون الثقافية المأمون، بغداد 1993: 13.
- (20) اسس الاخراج المسرحي، الكسندر دين، ترجمة سعيد غنيم، الهيئة المصرية للكتب، القاهرة 1982: 14.
- (21) معجم المصطلحات في الادب واللغة، مجدي وهبة، فهدى المهندس، مكتبة لبنان، 1974: 94.
- (22) القصة القصيرة الحديثة في العراق، عمر الطالب، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1979: 388 وينظر قصص عراقية معاصرة: فاضل ثامر، مطبعة دار السلام، بغداد 1971: 26.
- (23) التجريب في القصة والرواية: 13-14.
- (24) م. ن: 15.
- (25) م. ن: 16، ينظر التجريب القصصي لغة الخيال، احمد خلف، مجلة الاقلام العدد (4) 2000: 12.
- (26) تجويد الاساليب القصصية، احمد خلف، مجلة الاقلام، العدد (5) 1989: 149.
- (27) شخصية البطل في القصة العراقية القصيرة: 253، وينظر: دراسة في امراض القصة القصيرة، انوار الغساني، مجلة الاقلام، العدد (5) 1971: 14.
- (28) على ضفاف المشهد القصصي في العراق، احمد خلف، جريدة العرب، العدد 14، 1999: 6.
- (29) قراءة في بعض صفحات القصة القصيرة في العراق: 6، وينظر تقريض الخيال احمد خلف، مجلة افاق عربية، العدد (605)، 2001: 84.

- (30) التجريب: محسن الخفاجي ، مجلة الاقلام ، العدد (4) 2000 : 27 ، وينظر تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة ، عنيد ثينوان ، مجلة الاقلام العدد (7) 1988 : 140 .
- (*) قيمة جدلية تعتمد على الحلم والخيال ، واللامعقول لاكتشاف العقد المجرد في الواقع ، ينظر قضايا القصة العراقية المعاصرة ؛ عباس عبد جاسم دار الرشيد للنشر 1982 : 73 .
- (31) مختارات في القصة العراقية الحديثة ، تقديم ياسين النصير آفاق الكتابة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 1998 : 14 ، وينظر الاتجاه التجريبي في الستينات : برهان الخطيب ، مجلة الأقلام ، العدد (8) 1980 : 105 .
- (32) على ضفاف المشهد القصصي ، احمد خلف : 86 .
- (33) على ضفاف المشهد القصصي ، احمد خلف : 86 .
- (34) التجريب من خلال توظيف الموروث ، جاسم عاصي ، مجلة الاقلام العدد (4) لسنة 2000 : 19 .
- (35) اثر حكايات الف ليلة وليلة في القصة الانكليزية : عبد الستار الجواد ، مجلة الاداب ، بغداد العدد (6) لسنة 2002 : 3 .